﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢﴾ [العنكبوت: 32]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إظهارُ رحمة الرُّسل ليقع التَّأسّي والاقتداء

لمّا ذكرتِ الآية السّابقة ما سمِعه إبراهيمُ عليه السلام من قولِ الملائكة في إهلاك قرية لوطٍ عليه السلام؛ ناسب بيانُ موقفه ممّا سمع، إذ قال لهم على سبيل الإشفاق: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ﴾ استعلامًا منه عن حاله، وتنبيهًا على جلالِه، وإلفاتًا لهم بشدّة اهتمامه به؛ ليَعلم ما يقولون في حقّه؛ لأنّ الحال جِدٌّ، لا تحتمل التّلويحَ، فصرّح لهم ليطمئنّ قلبُه[1].

والحاصل: أنّ سوقَ الإخبار للتَّذْكيرِ بِسُنَّةِ اللَّهِ مَعَ رُسُلِهِ مِنَ الإنْجاءِ مِنَ العَذابِ الَّذي يَحِلُّ بِأقْوامِهِمْ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾: يدلُّ أصلُ (غبر) على دلالتين: الأولى: البقاء، والأخرى: لونٌ من الألوان[2]، والغابِر: من الأضداد، يُراد به الباقي، ويُراد به الماضي[3]، والجمع بينهما: أنّ الغابِر هو الباقي الذي مَضى عمّنْ كانوا معه، ويكأنَّه حين بَقيَ صار ماضيًا فائتًا بالنّسبة لمن كانوا معه، فصار نسيًا منسيًّا، والمرادُ به هنا: الباقون في الهلاك الماضون عنكم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإشفاقُ الخليليُّ على المرسلين لا يستلزم العفوَ عن الظّالمين

تُبيِّن الآية إشفاقَ إبراهيم على لوطٍ عليه السلام؛ ليُعلم حالُه للملائكة بأنَّه ليس من الظالمين لأنفسهم، بل هو من رُسل الله وأهلِ الإيمان به والطّاعة له، فأجاب الرّسلُ: نحن أعلم منك بمن فيها منَ الكافرين،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 51، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 429.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غبر).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (غبر).

وبأنّ لوطًا ليس منهم[1]، فاطمئِنّ يا إبراهيم؛ فإنّ اللّه تعالى قد أمرنا أن ننجّي لوطًا، وأن ننجّي معه من الهلاك أهلَه المؤمنين، إلّا امرأتَه فستبقى مع المهلَكين؛ لأنّها منهم؛ بسبب خيانتها للوطٍ ﷺ، حيث كانت تُقِرُّ جرائمَ قومِها، ولا تعملُ على إزالتها وإنكارِها، كما هو شأنُ الزّوجات الصّالحات[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصل الآية عما قبلها:

إيثارُ الوصلِ المعنويّ على اللفظيّ لوجود ما يقتضي

جملة: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ استئنافٌ بيانيٌّ وقع جوابًا لسؤالٍ مقدّرٍ نشأ ممّا قبله، كأنّه قيل: بماذا ردّ عليهم إبراهيمُ ﷺ بعد إخباره بالبشرى والإهلاك؟ فأجيب: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، والاستئنافُ البيانيُّ من دواعي الفصل، وله مع ما قبله شبهُ كمال اتّصال، وعِلّة المنع من العطف في الاستئناف البيانيّ كونُ الجملة كالمتّصلة بما قبلها لاقتضاء ما قبلها السّؤالَ، أو تنزيلَه منزلةَ السّؤال، والجواب يُفصَل عنِ السّؤال في الواصل اللّفظيّ؛ لِما بينهما منَ الوصل المعنويّ الذي أغنَى عنِ الرّبط بالعاطف، وإنّما كان ما بينهما شبهَ كمال اتّصال؛ لأنّ السّؤال والجواب إنْ نُظِر إلى معنيَيْهما فبينهما اتّصالٌ، وإن نظر إلى لفظَيْهما فبينهما انقطاع؛ لكون السّؤال إنشاءً، والجواب خبرًا، فهو اتّصالٌ مشوبٌ بانقطاع، فنتج عنه شبهُ كمال اتّصال، ولم يكن شبهَ كمال انقطاع؛ لكون العِلّة المعنويّة غالبةً على العِلّة اللّفظيّة، فترجّح اعتبارُ الاتّصال؛ ولأنّ السؤال وإن كان إنشاءً وليس خبرا؛ إلّا أنّه مشوبٌ برائحة الخبر؛ لأنّ معناه ثبوتُ جهالة المُستفْهِم، وتقرير عدمِ عِلْمِه[3].

(1) المراغي، تفسير القرآن: 20/ 137.
(2) طنطاوي، الوسيط: 11/ 33.
(3) الدّسوقي، حاشية الدّسوقي على مختصر المعاني: 2/ 504.

فائدةُ توكيدِ صدرِ الجملة:

تأكيدُ الوصيّةِ بزيادة القُرب

صُدّر مقولُ القول بحرف التّوكيد في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ تنبيهًا على الاهتمام بمضمون القول، ومبالغةً في الإلفاتِ إليه، وتشديدًا على المُخاطَب في زيادة الاعتبار والاعتناءِ بالمقول[1].

نكتةُ تقديمِ الجارّ والمجرور:

قُدِّم الجارُّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ على ذكر المسنَد إليه وهو ﴿لُوطًا﴾؛ لأنَّ الإهلاك واقعٌ على القريةِ، فنكتة التّقديم التّخصيصُ بغرض التّنبيه على خطورة الأمر[2].

نكتةُ ذكرِ لوط عليه السلام مع العلم بنجاته:

الأنبياءُ وقايةٌ لأقوامِهم من الإهلاك ما لم يُسرفِ الأقوامُ

جاء ذكرُ لوطٍ عليه السلام على لسان إبراهيم عليه السلام إمّا لكونه محلَّ الاستشفاع عند إبراهيم عليه السلام؛ فكأنّه يقول لهم: إنّ فيهم لوطًا، فليكن وقايةً لقومه من نزول العذاب بهم، ويؤيّدُه قولُه تعالى عن إبراهيم: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٤ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود: 74 - 75][3]، وعليه: فيكون الخوف على القوم، لا على لوطٍ عليه السلام؛ لأنّه لا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يخفى على إبراهيم عليه السلام - وهو من هو - أنّ الله يُنجّي لوطًا، فلا خوفَ عليه، فتنجيةُ الأنبياء سُنّةٌ إلهيّة لا تخفى على مثل إبراهيم عليه السلام حتّى يخشى الهلاكَ على لوط عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يونس: 103] فهذه سنّةٌ ثابتة لا تفوت أحدًا في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، فكان ذكرُ لوط لأجل قومه، لا لأجل لوط.

وإمّا للاستكشاف عن منتهى حال لوطٍ عليه السلام حين يقع الهلاك؛ كأنّه قيل: إذا وقع الهلاك على القوم الظّالمين، ففيهم لوطٌ حينئذ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 429، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 38.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 243.
(3) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 3/ 192، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/ 376، وابن جزيّ، التّسهيل لعلوم التنزيل: 1/ 375، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 123.

وهو من أهل النّجاة فما يُفعَل به؟ فأراد أن يعلم هل يبقى في القرية عند إهلاكهم، أو يخرج منها ثمّ يهلكون، ولا يخفى أنّ هذا شيءٌ منفكٌّ عن تسليمه بنجاته وعرفانِه بها[1].

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

جملة: ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾ استئنافٌ بيانيّ، جاء ردًّا من الملائكة على إبراهيم بما يطمئنه ويزيل خشيته على لوط ﷺ، وهو تسليمٌ منهم بتعريضه وإلماحِه إلى استحقاق لوطٍ ﷺ في النّجاة، مع إلفاتِهم له بأنّهم غيرُ غافلين عن ذلك[2].

التّصريحُ بالأفضليّة في مقام الرّعايةِ والمسؤوليّة

فائدةُ تقديمِ المسنَد إليه:

قُدِّم ضميرُ الفصل ﴿نَحۡنُ﴾ وهو مسندٌ إليه على المسنَد في قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾ الدّالِّ على جماعة المتكلّمين منَ الملائكة، في كونهم يُخبرون عن ذواتهم بأفضليّتهم في العلم عن شأن لوط ﷺ وقومِه على من سواهم، وفائدةُ الإخبار بضمير الفصل التّصريحُ بالاختصاص، أي هم أعلمُ من غيرهم جميعًا بمن فيهم إبراهيمُ ﷺ، ومجيء ﴿أَعۡلَمُ﴾ بصيغة التفضيل المشوبِ بروح الفعل قوّى معنى الاختصاص.

علمُ الغيبِ تختصُّ به الملائكةُ عن عموم البشر

دلالةُ صيغةِ أفعل التفضيل:

أفعلُ التّفضيل في قوله تعالى: ﴿أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾ على بابه من قصْدِ المفاضلة بين مُشتركين في أصل الوصف، وهو العلم، مع زيادة أحدِ الأطراف على الآخر في مقدار الوصف، وفي (أفعل) هنا شهادةٌ لإبراهيم ﷺ بالعِلم والاستئهال؛ لأنَّ المفضولَ مشهودٌ له برُتْبَتِه المُعتبرةِ في الصّفة وإن زاد نظيرُه عليه فيها، فالتّفضيلُ حاصلٌ في النّفل لا في الأصل.

الأفضليّةُ في الجزئيّات ليست مطّردةً في الكليّات

(1) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 359.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 243.

بلاغةُ العدولِ عنِ الخصوص إلى العموم:

العمومُ برهانُ الإحاطةِ ودليلُ القوّة والمتانةِ

عدلَ النَّظمُ الكريم عن ذكر لوطٍ ﷺ إلى ذكر العموم في قوله: ﴿أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾، فلم يقل: (نحن أعلم بلوط) وهو مقتضى الظاهر إذ تقدَّم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾، وذلك لإفادةِ أنَّهم أعلمُ منه بعموم من فيها من المستحقّين للإنجاء، والمستحقّين للإهلاك، فليس الأمرُ مقتصرًا على لوطٍ ﷺ، فجاء جوابُهم بليغًا لشموله الإجابةَ عن سؤاله وإفادةً زائدةً ترجمت علمهم المحيطَ بحال تلك القرية، للدّلالة على زيادة علمِهم وأفضليّته على عِلم ما سواهم في هذا الشأن خاصّةً، وما أشبهَ علوَّ علمِهم بعلوِّ علم الخضرِ على علم موسى ﷺ[1].

دلالةُ استعمالِ الاسم الموصول:

العِلمُ الصّحيحُ فرقانٌ بين أولياء الله وأعدائِه

الاسمُ الموصول (من) في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن﴾ أفاد العمومَ العرفيَّ بحسب مناطها المقصودِ، فتشمل المستحقّين للإنجاء، والمستحقّين للإهلاك في أهلِ القرية كافّةً، والتّعبيرُ بالموصول العامّ المشترك دون الخاصّ؛ للدّلالة على عموم المكلّفين رجالًا ونساءً ممّن سينجو أو يهلكُ، ولا يخفى أنّه اختار (مَن) دون (ما)؛ لأنَّ المقصود به الذّواتُ العاقلةُ المُكلّفةُ بخطاب الوحي.

نوعُ الباءِ ودلالتُها:

الباءُ للتّعديةِ وهي مفيدةٌ معنى الاختصاصِ ضِمنًا

الباء في قوله تعالى: ﴿أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ للتّعدية ومعنى الإلصاقِ لا يفارقها، وأفعلُ في العِلم يتعدّى بالباء إذا كان المراد الكيفيّةَ، ويتعدّى بحرف (مِنْ) إذا كان المراد المُطاوَعةَ مع المُقارِن، كمن يقول: أعلمُ من محمّد، وأعلم بكذا من كذا، أي: بالكيفيّة والحيثيّة؛ وهنا لم يذكر المقارِن لظهوره وعدمِ خفائه، وهو إبراهيم ﷺ أو كلُّ سامِع، أي: أعلمُ بحال قاطنيها منك وممّن سواك.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 243.

دلالةُ استعمالِ حرف الظّرفية:

المُصلِحُ بين الفاسدين ماكثٌ فيهم لا مُنتمٍ لهم

آثرَ النّظمُ الكريم استعمالَ حرفِ الظَّرفية في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾؛ ليدلَّ بذلك على من هو كائنٌ في القرية، فيشمل أهلَها وغيرَ أهلها الذين هم فيها مستقرّون، وفيها إيماءٌ إلى استحقاق العذابِ لمن مكث فيها وهو راضٍ عمّا فيها من الظّلم والفسقِ العميم، وإشارةٌ إلى نجاةِ لوطٍ ﷺ ومن معه، فهو بين ظهرانيهم، لكنّه لم يتّصِف بصفتِهم[1].

دلالةُ التّوكيد وغرضُه:

الأسلوبُ القرآنيُّ متناسبٌ مع الألفاظ متناسبٌ مع المعاني

أكّد الفعلُ ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بلام القسم ونون التّوكيد الثّقيلةِ؛ لأنّه وقع جوابًا على استفسارٍ مؤكَّد، وهو قول إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ فأكّد قوْلَه بإنّ وبتقديم الجارِّ والمجرور عنايةً وحصرًا، فناسب أن يكون جوابُهم عليه مؤكَّدًا كذلك، ولأنّ قول إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ كان على سبيل التّفجّع والتّحزّن على لوطٍ ﷺ، فأكّدوا له إنجاءَهم له زيادةً في تطمينه، أو إشارةً إلى مزيد اعتنائهم بشأن لوطٍ ﷺ، أو أنّهم نزّلوا إبراهيم ﷺ منزلةَ من ينكر تنجيتَه؛ لِما شاهدوه منه من زيادة الحرصِ والمبالغةِ في الإشفاق[2].

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ الإنجاء:

تخليصُ العبادِ من مهلكة السّوء بشارةٌ في الاعتناء والاجتباءِ

جاء استعمالُ مفردةِ الإنجاء في قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ للدّلالة على كمال الإخراجِ من بينهم، فأصلُ الإنجاء يدلّ على خُلوص خُلوص الشّيء، أو نفاذِه مرتفعًا مِن بين ما يحيط به أو يجاورُه، وأصلُ ذلك من النَّجْوَة، والنَّجاة: المكانُ المُرتفِع المنفصل بارتفاعه عمّا حوله، فهو تمامُ انفصال الشّيء ممّا حوله ببينونَتِه وتمايُزه[3]، مع ما في اللّفظِ من بديع البشارة والعناية والرّعاية.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 243.

(2) الآلوسي، روح المعاني: 10/ 359.

(3) الرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (نجو).

توجيهُ القراءات القرآنيّة في ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ وبلاغتها:

تـوكـيـد المـعـاني تتعـدَّد ألفاظُه وتتنوّعُ قراءاتُه

في قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ قراءتان؛ فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وأبو جعفر بفتح النّون وتضعيف الجيم؛ للدَّلالة على مبالغتهم في إنجائه؛ لأنه مرّة بعد مرة، ففيه زيادة تطمينٍ له، وقرأ الباقون ﴿لَنُنجِيَنَّهُۥ﴾ بسكون النّون وتخفيف الجيم[1]، على الأصل بالدّلالة على الإنجاء، اعتمادًا على التّوكيد في صدر الكلام، وقيل هما لغتان بمعنًى[2]، ومن خفّف واحدًا وشدَّد الآخر جمع بين اللّغتين؛ ليعلم أنهما جائزتان.

بلاغةُ عطف لفظ (أهل) على الضمير:

بـلاغـةُ الـجـواب تكون في المطلوب ومُستتبعاتِه

عُطف لفظُ الأهل على الضّمير العائد على لوطٍ ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾؛ لتقرير مزيد علمِهم وتأكيد أفضليتِهم وتحقيقِ ما يترتَّب على ذلك في قوله: ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾، ولمّا كان سؤال إبراهيم ﷺ عن لوطٍ وحده، جاء الجواب بأبلغ ممّا سأل؛ فأجابوه بإنجاء لوط وأهلِه المؤمنين، فكان في جوابهم كمالُ استقصاءٍ وإحاطة.

فائدةُ استعمال لفظِ (أهل) دون (آل):

نسبةُ العُمومِ والخُصوصِ المُطلق بين الآل والأهل

آثر النّظمُ الكريم لفظَ (أهل) على (آل) في قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ﴾؛ لأنّ الأهل أعمُّ من الآل فيدخل فيه أتباعه المؤمنون وقرابتُه أو جماعتُه الخاصّة، كبنتَيه؛ فعبّر بالأهل ليتناول جميعَ من آمن به سواء كانوا من خصوص قرابته أم من عموم أتباعه[3].

دلالةُ الاستثناء ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾:

الاستثناء في قوله تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ دلَّ على

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 259.

(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 4/ 194، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 433، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 360.

(3) الرّاغب، المفردات: (آل).

التخصيص بعدم الإنجاء من الحكم العامّ، فالإنجاء لعموم الأهل، والاستثناءُ إخراج من لا يستحقُّ ذلك.

فائدةُ إيثار الوصْفِ على الاسم العلَم:

الإنجاءُ بصلاحِ الإنسانِ لا بصلاح من يلتصقُ به

جاء التّعبير عن زوج لوط ﷺ بوصفها ﴿ٱمۡرَأَتَهُۥ﴾ لا باسمها، والإضافة إضافةُ تعريفٍ، وذلك جريٌ على عادة القرآن في عدم الإفصاح عن شخصيّات النّساء ستْرًا لهنّ، ولعدم الفائدة من ذكر الاسم العلَم، مع الاكتفاء في التّعريف بهنّ في إضافتهنّ إلى أزواجهنّ، وهي عادةٌ عربيّةٌ كذلك من أدبيّات العرب في القديم والحديث، أنّهم ينسبون المرأة إلى زوجها أو إلى أبيها، وهذا من كمال الحشمةِ وتمامِ التّعفّفِ، ولبيانِ أنَّ العمل الصّالح هو الذي يُنجي صاحبَه لا انتسابَ صاحبه إلى الصّالحين.

بلاغةُ الاستعارة في الأفعال:

الكونُ الماضي دليلٌ على تحقّق الجناية وعدمِ حصول التّوبة

فعلُ ﴿كَانَتۡ﴾ في قوله: ﴿كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ مستعملٌ في معنى (تكون) على سبيل الاستعارة التّصريحيّة التّبعيّة، شُبّه الكونُ في المستقبل بالكون الماضي في تحقّق الوقوع، فذُكر لفظُ المشبّه به، وهو الكون الماضي، وأريد المشبّهُ وهو المستقبل، مثل قوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1]؛ إلّا أن يُقال: إنّ الكون الماضي هو باعتبار ثبوته الكِتابيّ في اللّوح المحفوظ والأزليّ في علم الله، فحينئذٍ فالماضي على حقيقته، ولا استعارةَ، كما قُصِدَ الكون التّقديري في علم الله في آية الحجر ﴿قَدَّرۡنَٰهَآ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٦٠﴾ [النمل: 57][1]، وعلى القول بالحقيقة أوِ الاستعارة فإنَّ النتيجة واحدةٌ وهي تحقّقُ وقوع الإهلاك عليها.

ويصحّ أن يكون التّعبير بالكون الماضي في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ لتحقيق ثبوت نِسبة الوصف للموصوف،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 244.

وهي ثبوتُ النّسبة بين خبرها واسمها، فهي مسلوبةُ الزّمن، كأنّه قيل: امرأته تحقّق وصفُها أنّها الغابرين[1].

نوعُ ﴿مِنَ﴾ ودلالتُه:

حرف ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ لبيان الجنس، أي: قدّر أنّها متصفةٌ بهذا الوصف.

معنى التّعريف في لفظ ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾:

التّعريف إمّا للجنس أو العهد

التّعريف في لفظ ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ للعهد إذا كان ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ بمعنى الباقين بعد النّاجين، أو للجنس إذا كان ﴿ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ بمعنى المُهلكين، فكأنّه جعلهم مُلْتَحِقين بهذا الجنس، و(أل) الدّاخلةُ على الوصف المشتقّ تفيد الكمالَ في الوصف، الدّالِّ على استغراق الموصوفين لخصائص الوصف وماهيتِه، أي: البالغين الغايةَ في الغُبور والثّبور.

نكتةُ ذكرِ الجمع المذكّرِ دون المفرد المؤنث:

سنّة الله تعالى ماضيةٌ في العباد مُتحقّقة في جميع الأزمان

جاء التّعبير في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ دون أن يقول: (إنها كانت غابرة) للدّلالة على التّغليب في تذكير الغابرين وجمعِه، وأنّها جزءٌ من أولئك الغابرين الذين كان لهم من الفساد والمعصية ما كان، وأنَّه سيجري عليها سنّة الله تعالى في تعذيب المفسدين، مع ما في التّعبير بجمع المذكّر السّالم من تقريب اللّفظ من الفعليّة وإرادة الحدث، كأنّه قيل: (يغبُرون)[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العلمُ والمعرفةُ:

العِلم يُنسَب إلى الله، والمعرفة تُنسَبُ للمخلوق

العِلم هو إدراك الشّيء بحقيقته ودليله، مِنَ العلامة: السِّمَة التي تميّز الشّيء، أو مِنَ العَلَم: الدّليل[3]، والمعرفة: هي إدراك الشّيء

(1) ابن عثيمين، تفسير سورة العنكبوت، ص: 158.
(2) فاضل السّامرائي، معاني الأبنية، ص: 129.
(3) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، اللسان: (علم).

بتفكّرٍ وتدبّرٍ لأثَره[1]، فالعِلم إدراكٌ لذات الشّيء وإدراكٌ لأثره الذي هو دليلٌ عليه، ولذا فهو إحاطةٌ بالجوهر والعرض، وأمّا المعرفةُ فتتعلّق بالأثر الظّاهر للشّيء، لا بحقيقة الشّيء، ومن هذه المادّة: عُرْفُ الدّيك: وهو عُضوُه الظّاهرُ المعروف البارز في رأسه، ولذا فأصل المعرفة: تمييزٌ يقوم على ملامحَ ظاهرةٍ للأشياء، أخذًا من استعمال التّركيب في الملامح الظّاهرة التي تميّز الشّيء عن غيره، ولذا تعلّقت المعرفة في أصل معناها بالمفردات لا بالكليّات، ويسبقُها جهل، وأمّا العلم فيتعلّق بهما[2].

ويظهر الفرق الدّقيقُ بينهما: في أنّ الله سبحانه لا يوصف بالمعرفة، فلا يُقال: الله عارفٌ بكذا؛ لأنّ المعرفة تُستعمل في العلم القاصر الظّاهر الذي يُتوصَّل إليه بالتّفكّر والتّدبّر[3]، والتّفكّر والتّدبّر يستلزمان جهلًا سابقًا عليهما، ويستلزمان عُسْرًا في الإدراك ومحاولةً في التّصوّر، فضلًا عن كون المعرفة تبحث في الأثر الظّاهر لتنفُذ إلى ما وراءه، والله تعالى منزّه عن ذلك سبحانه! والفرق الثّاني بينهما يظهر في أنّ الإنسان لا يقال عنه: فلانٌ عَلِمَ اللّهَ، بل يقال: فلانٌ عرف الله، ومنه: العارف بالله؛ لأنّ معرفة البشر بالله هي حاصلةٌ بتدبّر آثاره في خلقه، دون إدراك ذاته[4]، فكانت معرفةً، لا عِلْمًا، وقال في الآية: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾؛ لأنّه قولٌ صادرٌ عن الملائكة في حقّ لوطٍ ﷺ وقومِه، وقد جاءوا لإنفاذ أمر الله فيهما بإنجاء لوط، وإهلاكِ قومه، فلا بدّ أن يكون ذلك على عِلمٍ منهم بحقيقة هؤلاء وعلى كشْفٍ تامٍّ بأحوالهم جميعِها، ولذا عبّروا بالعِلم؛ لأنّهم أرادوا عِلمَ الحقائق، لا عِلمَ الظّواهر، وهو الثّابتُ القطعيّ بوحي الله لهم وإعلامِه إيّاهم، وليس مستنبَطًا أو متوسَّلا إليه بالاجتهاد والتّفكّر.

الغابرُ والهالكُ:

الغابِرُ: وصفٌ يُلْحَظ فيه ثلاثة أمور: البقاء، والمُضيّ، ولونُ الاغبِرار، فالغابِر هو الباقي في المكان بعد فواتِ من كانوا معه، وهو الماضي في المكان بالنّسبة لمن كانوا معه، وبالنّسبة له بعدهم، فهو متروكٌ منهم فيه، فمَضَى عنهم ومَضَوا عنه، وهو أيضًا المُتغيّر لونُه بسبب انفضاضِ الغُبار عليه، ولمّا كان الهالكُ باقيًا بعد النّاجين، ماضيًا عنهم وسابِقًا إلى موضِع

(1) الرّاغب، المفردات: (عرف).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عرف).
(3) الرّاغب، المفردات: (عرف).
(4) الرّاغب، المفردات: (عرف).

بـين الـغـابـر والهالك عمومٌ وخـصـوصٌ وجهيٌّ

هَلَكَته، وكان لا بُدّ - بسبب طول مُكثِه وبسببِ بقائه في محلّ الفناء والهلاك - أنْ تلحقه الغَبَرة، ويتغيّر لونُه وجِلده بغبار الأرض الذي أصابه في معتَرَك الهلاك - قيل له - أي: الهالِك - لأجل هذه العِلل: غابِرًا، وهو من المُبالغات في تصوير تحقّقه بالهلكة، ويكأنّ تسميتَه بالغابِر تنبيهٌ على كونه استوفى صفاتِ الهالكين وآثارَ الإهلاك، ولذا عبّر هنا عن الهالكين بالغابرين؛ ليجمعَ إلى الإخبار بهلاكهم الإخبارَ بأنّهم من المقبوحين الذين تعتّقوا في غَبَرة الهلاك، وغابوا في الغَبْراء من طولِ مُكثِهم وامتدادِ الزّمان عليهم[1].

وأمّا الهالِك فهو الذي أصابه الهلاك أو شيءٌ من أسبابه، وأصلُ (هلك) يدلّ على كسْرٍ وسقوط، والهلاك: السّقوط، والموت، والفناء، والنّفاذ.

وحقيقةُ الهلاك: زوالُ جوهرِ الشّيء وخلوُّه من حقيقته، وقد يُطلق الهلاك على العذاب والخوف والفقر؛ لأنّها أسبابُه، فهو من تسمية الشّيء بسببه - مجازٌ مرسلٌ، فالهالك هو الموصوف بملابسة حالٍ من أحوال الهلاك السّابقة، وعليه: فالهالك أعمُّ من الغابر؛ لأنّ الغابر متّصفٌ بنوعٍ من الهلاك مخصوصٍ وهو المصاحِب لمعانٍ خارجةٍ عن نفْس الهلاك، وأيضًا ليس شرطًا أن يقع وصفُ الغابر للهالك، فقد يقال له: غابر، لا عن هلاك، بل عن مُضيٍّ أو بقاء، أو تغيّر لونِه بالغَبَرة، كما يقال: فلانٌ الغابِر في مَنصِبِه، أي: الباقي الذي مضى عليه زمن طويلٌ وهو فيه، وأنت تقول ذلك، وهو حيٌّ يعيش، وليس ميّتًا أو هالكا، وبهذا الاعتبار الأخير، فالغابر أعمُّ من الهالك؛ لوقوع الوصف به عن الهلاك وغيره، ومن مجموع الاعتبارات السّابقة، فبين الغابر والهالك عمومٌ وخصوصٌ وجهيٌّ[2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (غبر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (هلك).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»